مفتاح شخصية خير البرية ﷺ

المقصود بمفتاح الشخصية عند العقاد

كتب العقاد ست عبقريات : محمد ﷺ ، عمر ، الإمام ، المسيح ﷺ ، خالد . ومن من أهم ما يميز عبقريات العقاد حديثة عن " مفتاح الشخصية " التي يقول عنها : "إن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تنفتح لنا أبوبها وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها ، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابهة والأعراض ، فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التي قد تحملها في أصغر جيب، فإذا عالجته بها فلا حصن ولا إغلاق ! .. والذي نريده بمفتاح الشخصية شيء آخر غير معرفة الضابط الذي يسيطر عليها : نريد به السمة التي تميزه بين العظماء حتى في الإيمان وسيطرته على الأخلاق والأفكار والدوافع ؛ فإن الإيمان ليقوى في نفوس كثيرات ثم تختلف آياته وشواهده باختلاف تلك النفوس ، وهنا نبحث عن " مفتاح الشخصية " لنعرف به الفارق بين الإيمان في طبيعة العبقري وبين الإيمان في طبائع غيره من الأقوياء . " (١)

لماذا أغفل العقاد ذكر مفتاح شخصية النبي ﷺ ؟

العجيب أن كتاب " عبقرية محمد ﷺ " وهو أول كتب العقاد عن العبقريات خلا من فصل " مفتاح الشخصية " وإن اشتمل عليه الكتاب الثاني من كتب العبقريات "

---

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية عمر " منشورات الكتب العصرية بيروت ص ٦٦ ، ٦٧ بتصرف .

عبقرية عمر " الذي نشر في نفس العام الذي نشر فيه كتاب عبقرية محمد ﷺ عام ١٩٤٢ ، وأعتقد أن العقاد لم يغفل ذكر ذلك الفصل إنما لم يكن قد توصَّل إلى فكرة " مفتاح الشخصية " التي نظَّر لها وطبَّقها ابتداء من عبقرية عمر واستمراراً في عبقرية خالد ١٩٤٥ ، وعبقرية الإمام ١٩٤٩ ، وعبقرية الصديق ١٩٥١ ، وأغفلها في آخر عبقرياته عبقرية المسيح ١٩٥٣ ، ولا نعلم لماذا أغفل العقاد ذكر مفتاح شخصية المسيح رغم التزامه بها في كل العبقريات منذ أبدعها في عبقرية عمر .

مفتاح شخصية عمر وخالد وعليّ وأبي بكر

حدَّد العقاد مفتاح شخصية عمر فقال : " والذي نراه أن " طبيعة الجندي " في صفتها المثلى هي أصدق مفتاح للشخصية العُمَرِيَّة في جملة ما يُؤْثَر أو يُرْوَى عن هذا الرجل العظيم ." (١)

وعن مفتاح شخصية خالد بن الوليد يقول العقاد : " ويلوح لمن يقرأ سيرة الرجلين (عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد) أن "مفتاح شخصيته" هو السليقة الجندية .. فكلاهما جندي مطبوع على خلائق الجندية، ولكن ابن الخطاب تغلب عليه، من مزاج الجندي ، ناحيته الروحية أو ناحية الضمير ، وابن الوليد تغلب عليه من هذا المزاج نفسية ناحية الحيوية أو ناحية البنيان والتركيب . " (٢)

وعن مفتاح شخصية علي بن أبي طالب يقول العقاد : " آداب الفروسيَّة " هي مفتاح الشخصية النبيلة الذي يفض منها كل مغلق ويفسر منها كل ما احتاج إلى تفسير . " (٣)

---

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية عمر " منشورات الكتب العصرية بيروت ص ٦٧ .

(2) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " المكتبة العصرية بيروت ص ١٧٢ .

(3) عباس محمود العقاد " عبقرية الإمام علي " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ٢٣ .

أما أبو بكر الصديق فيقول عنه : " لقد كان أبو بكر رجلاً كريماً أليفاً من أهل الخير والمودة ، فلا جَرَمَ كان الإعجاب بالبطولة متأصلاً فيه ، مقروناً بكل ما في الإعجاب من حب وثقة وإيمان ولا جرم كان هذا الإعجاب مفتاحاً لشخصيته مفسراً لكل ما يلتبس من أعماله مميزاً لكل ما يتشابه بينه وبين غيره من الصفات ." (1)

مفتاح شخصية النبي محمد ﷺ

ولو تحدَّثنا عن مفتاح شخصية النبي ﷺ لو جدنا أن الرحمة في أسمى معانيها وأعلى درجاتها هي السمة التي تميز شخصية سيدنا محمد ﷺ عن سائر الخَلْق جميعاً، نعم هناك رحماء كثيرون قديماً وحديثاً لكن النبي ﷺ هو المثل الأعلى للرحمة والقمَّة التي لم يبلغها سواه ، ولم لا وهو رحمة الله للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وهذه الرحمة ليست قاصرة على آله فحسب ولا المؤمنين فقط بل تشمل جميع خلق الله تعالى : الإنسان ، المؤمن والكافر ، الطائع والعاصي ، الصديق والعدو ، المرأة والرجل ، الصغير والكبير ، الحر والعبد ، القريب والبعيد ، والإنس والجن ، والحيوان ، والطير ، والنبات ، وحتى الجماد .. رحمة لا تقتصر على الدنيا إنما تشمل الدنيا والآخرة .. رحمة لا مثيل لها على كثرة ما عَرَف الناس من رحماء ومن صور الرحمة على مر عصورهم ، ولا عجب في ذلك فمجيء رحمة النبي ﷺ بهذا الكمال وبهذا الشمول ليس طبيعة متأصلة في نفس النبي ﷺ فحسب بل هي هبة إلهية خَصَّه بها ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩] أي: برحمة من الله وقال الحسن البصري: هذا خُلُقُ محمد ﷺ بعثه الله به .

رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين

فالنبي ﷺ بالمؤمنين رءوف ورحيم ويكفى أن الله تعالى قد قال في وصفه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمؤمنين رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

---

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " منشورات الكتب العصرية بيروت ص ٤٨ .

[التوبة: ١٢٨] أي : شديد الرأفة والرحمة بكم أيها المؤمنون والرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضرر . والرحمة عبارة عن السعي في إيصال النفع ، فهو ﷺ يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين ، وفى إزالة كل مكروه عنهم .

قال بعضهم : لم يجمع الله تعالى لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي ﷺ فإنه قال : ﴿بالمؤمنين رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال عن ذاته سبحانه ﴿إِنَّ الله بالناس لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

فالنبي ﷺ رحمة ربانية مهداة لكلِّ الخلق، وما سنَّته وسيرته وحياته كلها إلا مظاهر من رحمته ﷺ بل من مظاهر رحمة الله تعالى بالخلق أن بعث هذا النبي الكريم، فقد جاء بمنهج شامل للحياة، كانت الرحمة من أهم ركائزه، ولقد علَّمَنا بمواقفه العظيمة وتعامله مع الجميع كيف ننسج من الرحمة ثوبًا نهديه إلى من حولنا، ليتحوَّل العدو إلى حبيب بتلك اللمسة الحانية .

رحمة النبي ﷺ بأهل بيته

لقد قضى حياته ﷺ في خدمة من حوله وإعانتهم، فها نحن أُولاءِ نراه في خدمة أهل بيته، وكأنه يريد أن يخفِّف عنهم وطْأَة متاعب أشغال المنزل، هذه الأعمال التي يأنف معظم الرجال أن يعيروها قدرًا من تعاونهم، كانت أمرًا طبيعيّاً في حياته ﷺ إن المرأة لا تحتاج إلى من يساعدها في عملٍ ما بقدر حاجتها لأن تشعر دائماً بطيور الرحمة ترفرف حولها، وهكذا كان النبي ﷺ يغمر أهل بيته بالرحمة، وذلك كلُّ ما تتمناه المرأة من زوجها.

وقد تعدَّدت مظاهر التعبير عن الرحمة من جانب النبي ﷺ تجاه أهل بيته، فتارة نراه في خدمة أهل بيته، وتارة نراه يداعبهم ويُدخل السرور إلى قلوبهم، وتارة أخرى

---

(1) د. محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٢٠٦٩

نراه يتجاوز عن أخطائهم برحمة وحُنُوّ، وهكذا كانت إشارات الرحمة تنتشر في بيت النبوة، فتفيض عليه حنانًا، سُئلَتْ عَائِشَةُ : "ما كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصنعُ في بَيْتِهِ ؟ قالت: كان يَكُون في مِهْنَةِ أَهْلِهِ (في خِدمَةِ أَهلِه) فإذا حَضَرَتِ الصَّلاة، خَرَجَ إلى الصَّلاةِ "
[صحيح البخاري]

لقد كان النبي ﷺ رحيمًا بالمرأة، ويوصي بالرحمة بها، بل كان يشفق على المرأة حين يسرع الحادي في قيادة الإبل التي تركبها النساء، فيقول له : رفقاً بالقوارير، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ "رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ لاَ تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ" قَالَ قَتَادَةُ يَعْنِي : ضَعَفَةَ النِّسَاءِ .
[صحيح البخاري]

وكان النبي ﷺ إذا دخل بيته، بادر بالسلام، وإذا دخل ليلاً، خافَتَ به حتى لا تستيقظ زوجته إن كانت نائمة . كما ورد في حديث المقداد قال: " ... فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ " [صحيح مسلم] .

ألهذه الدرجة ؟! يخشى أن يوقظ أهل بيته وهم نائمون حتى لا يقطع عليهم نومهم وراحتهم ! يالها من رحمة عجيبة يجب أن تنحني أمامها جباه كل عظيم .

رحمة النبي ﷺ بالصغار

كان العرب لا يحبون إنجاب البنات وربما سوَّلت نفس أحدهم له فوأدها ، وإن أبقى عليها لا تجد منه حباً ولا عطفاً {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل : ٥٨ ، ٥٩]

ورغم حبهم للذكور إلا أنهم لم يكونوا يدللونهم ولا يقبِّلونهم ظناً منهم أن ذلك يلبسهم ثوب الرجولة مبكراً ويعجل ببلوغهم مبلغ الرجال أما النبي ﷺ فكان رحيماً بالصغار :

إناث وذكور فعن أنس قال : " كانَ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالصِّبْيَانِ وَالْعِيَالِ " [صحيح ابن عساكر] فكان ﷺ سعيداً بولادة بناته وقد رزقه الله تعالى بأربع كما كان سعيداً بتربيتهن وتزويجهن حريصاً على إسعادهن وإزالة ما يغضبهن " قَالَ فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي " [متفق عليه] كما كان محباً لخديجة أمهن وفيّاً لها بعد موتها فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى [عَلَيْهَا] فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِين قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؟ قَالَ: مَا أَبْدَلَنِى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِى إِذْ كَفَرَ بِى النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِى إِذْ كَذَّبَنِى النَّاسُ، وَوَاسَتْنِى بِمَالِهَا إِذْ أَخَرجَنِى النَّاسُ، وَرَزَقَنِى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِى أَوْلاَدَ النِّاس " [صحيح رواه أحمد]

وكان حريصاً على نزع كره الرجال للبنات محبباً إليهم حسن تربيتهن فقال " مَنْ عَالَ(أي قام عليها بالمؤنة والتربية) جَارِيَتَيْن (بنتين) حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ " وضَمَّ أَصَابِعَهُ .[رواه مسلم] وعن عائشة قَالَتْ : جَاءتني مِسْكينةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمرَات ، فَأعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعتْ إِلَى فِيها تَمْرَةً لِتَأكُلها ، فَاسْتَطعَمَتهَا ابْنَتَاهَا ، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُريدُ أنْ تَأكُلَهَا بَيْنَهُما، فَأعجَبَنِي شَأنُهَا ، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسولِ الله ﷺ فَقَالَ : " إنَّ الله قَدْ أوْجَبَ لَهَا بها الجَنَّةَ ، أَوْ أعتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ" [رواه مسلمٍ]

وكان النبي ﷺ إذا رأى ولده إبراهيم يأخذه فيقبله ويشمّه فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالْعِيَالِ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مُسْتَرْضَعٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا (كان زوج المرأة التي ترضع ابنه حداداً) وَكُنَّا نَأْتِيهِ ، وَقَدْ دَخَنَ الْبَيْتُ بِإِذْخِرٍ، فَيُقَبِّلُهُ وَيَشُمُّهُ " [صححه الألباني]

ولقد بلغت رحمة النبي ﷺ بالصغار درجة أنه اعتبر عدم تقبيلهم وإشباعهم بالحب والعطف قسوة ونزعًا للرحمة، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ

الصِّبْيَانَ ! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ" [صحيح البخاري]

بل إن الصلاة نفسها لا تنسيه رحمته بالأطفال ورأفته بهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ ، فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ، أَخَذَهُمَا بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ أَخْذًا رَفِيقًا، فَيَضَعُهُمَا عَلَى الأَرْضِ، فَإِذَا عَادَ عَادَا، حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ أَقْعَدَهُمَا عَلَى فَخِذَيْهِ " [حديث حسن رواه أحمد]، بل كان يسمع بكاء طفل صغير وهو في الصلاة فيخفف رحمةً بالطفل وبأمه، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِه " [البخاري]

رحمة النبي ﷺ بالخدم والعبيد

كان العبيد في الجاهلية من جملة مال الرجل كالإبل والأغنام والمتاع وربما كان حصان الرجل أو دابته أعز عليه من عبده أو أمته وكل شيء فيهم مباح : لعن وضرب وقتل فلا حرمة لهم ولا كرامة ولا حق مستحق ، لا يأكلون مما يأكل سادتهم ولا يلبسون مما يلبسون ولا أمل لهم في عتق وقد تجلَّت مظاهر رحمته ﷺ بالخدم والعبيد أن جعل لهم حقوقاً، وأمر بالرفق بهم، بل وحثَّ على تحرير العبيد من رقهم .

وإذا تتبعنا التوجيهات والتوصيات التي أوصى بها النبي ﷺ بهم، فسنعرف مقدار الاهتمام الذي حازته هذه الفئة من المجتمع، في وصايا النبي ﷺ وقد ساهمت هذه الوصايا بشكل كبير في تحرير العبيد، ومن ثمَّ وقفت قيادات قريش في وجه النبي ﷺ ودينه الذي يدعو إلى تحرير العبيد، وينادي بالمساواة بينهم وبين السادة .

لقد اهتمَّ رسول الله ﷺ بالعبيد في حياته وأوصى بهم خيراً حين موته، فعن عليٍّ قال: كَانَ آخِرُ كَلاَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ " الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ "

[صحيح رواه أحمد وغيره]

وحذَّر النبي ﷺ من ضرب العبد أو إيذائه، فعن أبي مسعود الأنصاري قال: قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامَاً لِي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلْفِي : " اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ " فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتِ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رسولُ الله ﷺ فإذا هُوَ يَقُولُ : " اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلامِ " . فَقُلتُ : لا أَضْرِبُ مَمْلُوكاً بَعْدَهُ أَبَداً . وَفِي روايةٍ : فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ . وفي روايةٍ : فَقُلتُ : يَا رسولَ الله ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، فَقَالَ : " أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ " [صحيح مسلم]

بل حضَّ الرسول ﷺ على المعاملة الحسنة لهم، حتى في الألفاظ والتعبيرات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي " [صحيح مسلم]

وجعل النبي ﷺ كَفَّارة ضرب العبد عتقه، فعن عبد الله بن عمر قال: " إلا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ " [مسلم]

بل نهى النبي ﷺ عن سب العبيد والخدم وتكليفهم بأعمال شاقة تفوق طاقتهم وأمر ﷺ بالإحسان إليهم وعدم الاستهزاء بهم، بل وإطعامهم وإلباسهم من نفس طعام ولباس أهل البيت فعنِ المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍ وَعَلَيهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺفَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أيديكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " [متفقٌ عَلَيْهِ] .

بل أكثر من هذا لقد نهى النبي ﷺ عن الدعاء على الخدم كما نهى عن الدعاء على النفس والأبناء والمال فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ تَدْعُوا

عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ " [صحح أبي داود] وكان ﷺ يوصي أصحابه بالعفو عن إساءة الخدم وخطئهم وإن كَثُر فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ فَصَمَتَ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلاَمَ فَصَمَتَ فَلَمَّا كَانَ فِى الثَّالِثَةِ قَالَ : " اعْفُوا عَنْهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً " [صحيح أبي داود والترمذي]

لقد فتح النبي ﷺ بهديه وشرعه الذي جاء به أبواباً متعددة لإخراج العبيد من رقهم إلى سعة الحرية، فكان العتق هو الكفارة الأولى في قتل الخطأ، وفي جماع الرجل زوجته في نهار رمضان، وفي الظهار، وإذا أساء السيد إلى عبده بلطمه فليس لها كفارة إلا عتقه، كما جعل النبي ﷺ عتق العبيد وسيلة من وسائل للتكفير عن الذنوب والخطايا، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : " أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلاً مُسْلِمًا ، كَانَ فَكَاكه مِنَ النَّارِ " [صحيح الترمذي]

عبده فعن أَبي عليٍّ سويدِ بن مُقَرِّنٍ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلاَّ وَاحِدَةٌ لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا فَأَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا " [رواه مسلم] (١)

وكان ﷺ يبين للصحابة فضل الضعفاء عليهم فهم سبب النصر والرزق فقال : " هَلْ تُنْصرُونَ وتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ " [صحيح البخاري] .

رحمة النبي ﷺ بالجاهل

الجاهل مثار سخرية الناس واستهزائهم ، أما النبي ﷺ فقد شملت رحمته ﷺ الجاهل فكان يعلمه برفق ولا يُعَنِّفُه على تقصيره ، ولا يَنْتَقِصُ من قدره، فهذا الأعرابي الذي

---

(1) " رحمة الحبيب بالخدم والعبيد " موقع إسلام ويب بتصرف .

بالَ في مسجده ﷺ ثار الناس وهموا أن يفتكوا به لهذا الجُرم الذي فعله ، فماذا فعل النبي ﷺ ؟! قال: " دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ – فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ " [صحيح البخاري] . في رواية لمسلم : عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعُوهُ وَلا تُزْرِمُوهُ (لا تقطعوا عليه بوله) قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ " .

وجاءه يستأذنه في الزنا !! فصاح به الناس، لكنه ﷺ قرَّبه منه وقال له في منتهى اللطف والرفق : " أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ " قَالَ: لا ، قَالَ : " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لا يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ " قَالَ : لا ، قَالَ : " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ ... ثم وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِ هَذا الشَّابّ ، وَقَالَ : " اللَّهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " [صححه الألباني] فخرج الشابُّ وما شيء على وجه الأرض أبغض إليه من الزنا، فهذه رحمة النبي ﷺ وتلكم ثمرتها !!

رحمة النبي ﷺ بالمخطئ

والمخطئ مثار انتقاد الناس وغضبهم ولكن النبي ﷺ كان بهم رحيماً وعلى سترهم حريصاً وبتوبتهم سعيداً وموقفه ﷺ من ماعز والغامدية اللذان اعترفا بارتكابهما جريمة الزنا وهي من أبشع الجرائم في الإسلام وعقوبتها الرجم للزاني المتزوج يظهر مدى رحمة النبي حتى بالمخطئين والمرتكبين حداً من حدود الله تعالى رحمة لا تسقط عنهم حد الله ولا تلغي العقوبة التي شرعها إنما رفق بمرتكبها وردع لمن تسول له نفسها بارتكابها بعد ذلك .

زنا ماعز بن مالك الأسلمي بجارية أحد الصحابة اسمه هزَّال ؛ فقال له هزَّال : انطلق فأَخْبِرْ رسول الله فعن نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ قال : " أَنَّ مَاعِزًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَقَرَّ عِنْدَهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ، وَقَالَ لِهَزَّالٍ: " لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ"

[صحيح أبي داود وغيره]

ومسلم يروي لنا في صحيحة تفاصيل ما دار بين النبي ﷺ وماعز ما يؤكد رحمته ﷺ " جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَ أُطَهِّرُكَ فَقَالَ مِنْ الزِّنَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزَنَيْتَ فَقَالَ نَعَمْ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ " [صحيح مسلم] فانظر كيف طلب النبيﷺ أربع مرات من ماعز الرجوع والاستغفار والتوبة قبل أن يسأله عن جريمته لعل التوبة والاستغفار يطهرانه من خطئه فلما أصرَّ ماعز على التطهر من جريمته استقين النبي ﷺ أولاً من صحة عقله وكمال وعيه ، ثم استيقن من وقوع الجريمة كاملة الأركان والشروط " قَالَ لَهُ لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ قَالَ لا يَا رَسُولَ اللَّهِ " [صحيح البخاري] ثم أمر ﷺ برجمه ولم يسأله عمن زنا بها ليرجمها هي الأخرى بل ستر عليها كما كان يتمنى أن يستر هزَّال عن ماعز نفسه ، ثم انظر كيف يطلب النبي ﷺ من الصحابة أن يستغفروا لماعز ثم انظر كيف أخبر ﷺ الناس بقبول الله توبة ماعز رحمة به حياً وميتاً ورحمة بأهله من أن تصبهم مَعَرَّة قتله حدّاً ، وفتحاً لباب التوبة أمام المخطئين .

وحرصاً على المجتمع من شيوع الفاحشة فيه اغتراراً برحمة النبي التي أظهرها مع ماعز خطب النبي ﷺ بعد رجم ماعز قائلاً : " أَوَ كُلَّمَا انْطَلَقْنَا غُزَاةً فِي سَبِيلِ

اللهِ تَخَلَّفَ رَجُلٌ فِي عِيَالِنَا لَهُ نَبِيبٌ (صوت التيس عند الجِمَاع) كَنَبِيبِ التَّيْسِ! عَلَيَّ أَنْ لا أُوتَى بِرَجُلٍ فَعَلَ ذَلِكَ إِلا نَكَّلْتُ بِهِ " نَكَّلَ به : عاقَبه بما يردعه ويرُوع غيره من إتيانِ مثل صَنيعه . [صحيح مسلم وغيره] فإذا كان النبي رحيماً بمن ارتكب الجريمة فإنه لا يريد أن تشيع الفاحشة بين الناس اعتماداً على رحمته يحذر من فعلها وتوعَّد مرتكبها بالتنكيل به ورجمه كما رجم ماعز فالحدود ليست حق النبي حتى يتنازل عنها إنما هي حق الله وحق المجتمع .

هل يمكن أن تصل رحمة حاكم أو رأفة قاضٍ أو حكمة مسئول ما وصل إليه النبي في تعامله مع المخطئين .

وكما كانت قصة النبي مع ماعز مثالاً دالاً على مدى رحمة النبي بالمخطئين كانت قصة النبي مع المرأة الغامدية التي زنت " جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنْ الأَزْدِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ وَمَا ذَاكِ قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنْ الزِّنَى فَقَالَ آنْتِ قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ لَهَا حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَدْ وَضَعَتْ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَ إِذًا لا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا " [صحيح مسلم] " ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ فَقَالَ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى "

[صحيح مسلم]

رحمة النبي ﷺ بغير المسلمين

وبعض الناس يظن أن الرحمة لا تكون إلا بين المسلمين فحسب ولكن النبي يعلمنا أن الرحمة تكون شاملة لكل خلق الله تعالى ومن مظاهر رحمته ﷺ بغير المسلمين أنه

كان يسعى إلى هدايتهم والرفق بهم، وتقديم جانب الحوار على الصدام، فهو يجنح إلى السلم ويبرم المعاهدات، وإذا صار حال العدو إلى ذلٍ وقهرٍ رَحِمَهُ ﷺ يرسل إلى الأمم والملوك رسائل يدعوهم فيها إلى الحق قبل أن يفكر في حربهم، وإذا أرسل جيشًا أوصاه بالرحمة بالأطفال والنساء والضعفاء والذين لا يحاربون، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: " ....اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلاَلٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ..." [مسلم] (1)

وعن عموم رحمته ﷺ وشمولها يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] يقول ابن القيم في تفسير هذه الآية الكريمة : " أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان أحدهما أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة وأما أعداؤه فالمحاربون له عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

---

(1) من خطبة " محمد ﷺ نبي الرحمة " وزارة الأوقاف .

الوجه الثاني أنه رحمة لكل أحد لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى والكفار ردُّوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض .

ومما يحمد عليه ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم فإن من نظر في أخلاقه وشيمه علم إنها خير أخلاق الخلق وأكرم شمائل الخلق فإنه كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثاً وأحلمهم وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالاً وأعظمهم عفواً ومغفرة وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً " (١)

رحمة النبي ﷺ بأعدائه الكفار المحاربين

ورحمته بأعدائه المحاربين له ليس كما قال ابن القيم "عجَّل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة " إنما لدفع ضررهم لينتهوا عن مقاتلة المسلمين ويدخلوا في دين الله وفي ذلك يقول تعالى : ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكفر إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة : ١٢] يقول الشعراوي : " هذا أمر بقتالهم لا بقتلهم ، فيكون المعنى : قاتلوهم ، فإن لم يقتلوا فقد يجعلهم القتال ينتهون عن عدائهم للدين؛ لأنهم حين يرون البعض منهم قد قتل وهم أضعف من المواجهة ، هنا ستخف حدة محاربتهم للإسلام ، وتنتهي اللجاجة في أمر الدين . " ويقول د. سيد طنطاوي " ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ متعلق بقوله ﴿فقاتلوا أَئِمَّةَ الكفر﴾ أي: ليكن مقصدكم من مقاتلتهم الرجاء في هدايتهم ، والانتهاء عن كفرهم وخيانتهم .. واحذروا أن يكون مقصدكم من ذلك العدوان واتباع الهوى . " وهذا من غاية كرم الله وفضله على الإحسان كما قال الفخر الرازي . ولقد انتهى الغالبية العظمى من أئمة

---

(1) ابن قيم الجوزية " التفسير القيم " ج ٢ ص ٤٤ .

الكفر عن محاربة المسلمين ودخلوا في دين الله أفواجاً ولم يقتل منهم إلا عدد محدود كانوا عبرة لغيرهم مثل : أبي جهل وأمية بن خلف وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن المغيرة .

فالنبي ﷺ كان حريصاً أشد الحرص على هداية هؤلاء الأعداء المُحَاربين يقول تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ على آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بهذا الحديث أَسَفاً﴾ [الكهف : ٦] فالله تعالى يقول للنبي : لا تُهْلِكَ نفسك هَمّاً وغَمّاً ، بسبب عدم إيمان هؤلاء المشركين . إلى هذا الحد كان النبي رحيماً بالكافرين لدرجة أنه يهلك نفسه في سبيل هدايتهم والله تعالى يقول مُسَلِيًا له في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [فاطر:٨] وقال ﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النحل:١٢٧] وقال ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٣]

لقد كانت غاية النبي ﷺ هي رحمة الإنسان وهدايته والسعي بكل سبيل إلى نجاته من المهالك في الدنيا والآخرة، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ غُلاَمًا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِىُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : " أَسْلِمْ " . فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَأَسْلَمَ فَقَامَ النَّبِىُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ بِى مِنَ النَّارِ " [سنن أبي داود] .

ولقد طلب الصحابة من النبي ﷺ أن يدعو على هؤلاء الكفار المحاربين فكان يجيبهم : "إني لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وإنما بُعثْتُ رحمة". [صحيح مسلم]

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ . قَالَ : " اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ " [البخاري]

وهو في أعلى درجات غضبه كان رحيماً بهؤلاء الكفار ولم يشأ أن يأمر ملك الجبال بإهلاكهم وهذا نموذج لم تشهد له البشرية مثيلاً فعن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ

لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ ﷺ : " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[متفق عليه] .

يوم المرحمة

والعجب كل العجب أن نجد مظلَّة الرحمة النبوية تمتد لترفرف على من ناصبوه العداء وحاربوه وفعلوا معه كل ما يستطيعون من الكيد والإيذاء إن يوم الحديبية وحده يكفي دليلاً على عظمة رحمة النبي ﷺ فهاهو يقترب من مكة التي خرج منها مطرودًا، وهو اليوم في موطن القوة يستطيع أن يفاجئ القوم ويفعل بهم ما يريد، لكنه يؤثر السلم ويقبل شروط أهل مكة التي لم يرضَ بها كثير من المسلمين في حينها ، فقبلها حتى لا تراق قطرة دم، لقد كانت الرحمة في تفاصيل حياته ﷺ كلها حتى في وقت الحروب التي دُفِعَ إليها دفعًا، فهاهو يدخل مكة يدخل مكة بجيشه العظيم الذي أعجز أهل مكة أن يقاوموه – مجرد مقاومة– فيسمع سعد بن عبادة يقول مزهوًا: "اليوم يوم الملحمة"، فيردّ النبي ﷺ : " بل اليوم يوم المرحمة " ! [1] ثم تأتي لحظة

---

(1) أَعْطَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ الرايَة يوم فتح مكة إلى سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَلَمّا مَرّ سَعْدٌ بِرَايَةِ النّبِيّ ﷺ نَادَى: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلّ اللّهُ قُرَيْشًا، فَلما أَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتّى إذَا حَاذَى أَبَا سُفْيَانَ نَادَاهُ أبو سفيان: يَا رَسُولَ اللّهِ أُمِرْت بِقَتْلِ قَوْمِك؟ زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرّ بِنَا قَالَ: " يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ الْيَوْمَ أَذَلّ اللّهُ قُرَيْشًا " وَإِنّي أَنْشُدُك اللّهَ فِي قَوْمِك ، فَأَنْتَ أَبَرّ=

النصر فيقف أهل مكة جميعًا أمامه خاضعين مستسلمين ينتظرون أيَّ قضاء يقضي فيهم رسول الله ﷺ فيقول لهم: " مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟ ». قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ : " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ " [ضعيف البيهقي] قالها لهم وفيهم الذين حاصروه هو ومن معه ثلاث سنوات، يمنعون عنهم الطعام فمات من مات معه من الصغار والكبار ، وفيهم الذين قتلوا عمه حمزة ومثلوا بجثته وحاولوا أكل كبده، وفيهم الذين باتوا يدبرون له المكايد.

إنها رحمة عامة لكل الخلق، ألّفت حوله القلوب، وأذابت الأحقاد فتحوَّلت العداوة إلى محبة .

ومع كل هذا نجد أن النبي ﷺ يعلمنا الوسطية والاعتدال حتى في خُلُقٍ كالرحمة، فلقد كانت رحمته ﷺ مكسوة بالوسطية، فهو رحيم دون ضعف، متواضع في غير ذلة، محارب لا يغدر، سياسي لا يكذب، يستخدم الحيلة في الحرب لكن لا ينقض العهود والمواثيق، يجمع بين التوكل والتدبير، وبين العبادة والعمل، وبين الرحمة والقوة في مواجهة الخصوم . (١)

شفاعته ﷺ للخلق أجمعين يوم الدين

بل إن رحمته لجميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم لا تكون في الدنيا فحسب بل تكون في الآخرة أيضا فالخلائق يوم القيامة يلتمسون شفاعة الأنبياء لهم إلى الله في القضاء بينهم، وإراحتهم من الموقف وفي ذلك يقول النبي : " يَجْمَعُ

=النَّاسِ وَأَرْحَمُ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا " وَعَزَّ ﷺ سَعْداً وَأَعْطَى اللِّوَاءَ إلى قَيْس ابْنِهِ " انظر " فتح الباري شرح صحيح بالبخاري " لابن حجر ج ٨ ص ٩.

(1) من خطبة " محمد ﷺ نبي الرحمة " وزارة الأوقاف .

اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاس مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ " [متفق عليه] فيذهبون إلى الأنبياء : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى فيعتذرن جميعاً لأنهم لا يرون أنفسهم أهلاً لها فيأتون إلى النبي ﷺ فيطلبون منه الشفاعة يقول النبي : " فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أنتَ رَسُولُ اللهِ وخَاتَمُ الأَنْبِياءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ " [متفق عليه] فيشفع النبي إلى عز وجل فينزل الله تعالى للقضاء بين العباد ، وهذه الشفاعة تسمى العظمى ، وهي من المقام المحمود الذي قال الله فيه ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ .

رحمة النبي ﷺ بأمته يوم القيامة

ولا ينسى النبي أمته ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٤-٣٧] بل يكون مشغولاً بأمته حريصاً على إنجاز ما وعدهم به في الدنيا من الشفاعة لهم يوم القيامة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا " [متفق عليه]

وقد يعتقد البعض أن هذه الشفاعة، ستكون لأهل الطاعة والتقوى فقط، ولكن الأمر على خلاف ذلك! فشفاعة الرسول ﷺ ستكون كذلك لأهل المعاصي ! بل لأهل الكبائر من الذنوب فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ

مِنْ أُمَّتِي " [صحيح الترمذي] وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ الذين يشفع النبي فيهم استحقُّوا شفاعته إما لأنهم استغفروا الله لذنوبهم ولم يصروا عليها ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وإما أن تكون شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر بعد أن يأخذوا جزاءهم يقول رسول الله ﷺ " لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِى يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ " [صحيح الترمذي وأبي داود]

فليس المقصود من الشفاعة لأهل الكبائر هو إطلاق المجال لهم لفعل المنكرات، إنما المقصود هو إبراز مدى رحمة النبي ﷺ وحرصه عليه، حتى بلغ الحرص أهل الكبائر أنفسهم .. فهناك أناس من أمة محمد لا يقبل الله تعالى فيهم شفاعة لأنهم بدَّلوا دينه من المنافقين وممن اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٧٠] فهؤلاء يتبرأ منهم النبي ﷺ ويقول لهم : بُعْداً بُعْداً " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا يَقُولُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي " [متفق عليه]

رحمة النبي ﷺ بالحيوان

وهذه الرحمة النبوية لم تقف عند حدود البشر، بل امتدت لتشمل الحيوان، فهاهو يوصي بالرفق في الحيوان والإحسان إليه في هذه اللحظة التي يفارق فيها الحياة – عند الذبح– فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ،

وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ " [صحيح مسلم] إنه ﷺ لا يريد لمخلوق لحظة عذاب لمخلوق ضعيف، وإن كان حيوانًا ، ودَخَلَ بُسْتَانًا لِرَجُلٍ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: " مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ " ، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: " أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ " [صحيح أبي داود]

وعن سهل بن عمرو قَالَ : مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ (من الجوع ومن الهزال بحيث لصق بطنه بظهره) فَقَالَ : " اتَّقُوا الله في هذِهِ البَهَائِمِ المُعجَمَةِ ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً ، وَكُلُوهَا صَالِحَةً " [صحيح أَبي داود]

,ولقد نهى رسول الله عن ضرب الحيوان في الوجه ، وعن وشمه في الوجه أو لعنه فعَنْ جَابِرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ وَعَنْ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ " [صحيح مسلم] وعنه : أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ في وَجْهِهِ ، فَقَالَ : " لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ " [رواه مسلم]

قل رجل لِجَمِلَهَ : " لَعَنَكَ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ هَذَا اللاعِنُ بَعِيرَهُ قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ انْزِلْ عَنْهُ فَلا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ " [صحيح مسلم]

وحذَّر النبي من استخدام الدواب كراسيَّ للحديث والسمر على ظهورها فهي لم تجعل ذلك فعن أبي هريرة أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : " إِيَّاكُمْ أَن تَتَّخِذُوا دَوَابَّكُم مَنَابِرَ ، فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا سَخَّرَها لكم لِتُبْلِغَكُم إلى بَلَدٍ لم تَكُونُوا بَالِغِيهِ إلا بِشِقِّ الأَنفُسِ ، وَجَعَلَ لكم الأرضَ، فَعلَيها فاقضُوا حاجَتَكُم " [صحيح أبي داود والبيهقى] مَرَّ ﷺ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وُقُوفٌ عَلَى دَوَابَّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ فَقَالَ لَهُمْ : " ارْكَبُوهَا سَالِمَةً وَدَعُوهَا سَالِمَةً وَلا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالأَسْوَاقِ فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ " [حديث حسن رواه أحمد وغيره]

ليس ذلك فحسب بل إن النبي ﷺ جعل رحمة الحيوان والإحسان إليه سبباً في غفران الذنوب ودخول الجنة فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ " أَنَّ رَجُلاً رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ " [صحيح البخاري]

بل إن النبي ﷺ جعل النار مصيراً لمن يؤذي حيواناً أليفاً فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ " [صحيح البخاري] .

رحمة النبي ﷺ بالطير

وهكذا شملت رحمة النبي الإنسان والحيوان بل الطير أيضاً فعن ابن عمر: أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيراً وَهُمْ يَرْمُونَهُ ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا ، إِنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً " [متفق عَلَيْهِ] " الغَرَضُ " وَهُوَ الهَدَفُ وَالشَّيءُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ . وعن ابن مسعودٍ قَالَ : كنَّا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ ، فانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً (نوع من الطيور) مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا ، فَجَاءتِ الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ : " مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْها " [صحيح أَبي داود]

وعبد الله بن عمرو : أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : " مَا مِن إنسان يَقْتُلُ عُصْفُورًا فما فَوْقَهَا بِغَيرِ حَقٍّ إلا سَأَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنها ، قيل : يا رسولَ الله، وما حَقُّها ؟ قال : يَذْبَحُها فيأكُلُها ، ولا يَقْطعُ رَأْسَهَا وَيَرمِي بِهَا " [صحيح النسائي]

وعن ابن عباس قال " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ كُلِّ ذِي رُوحٍ " [صححه الألباني]

ولم تقتصر رحمته ﷺ بالحيوان والطير بل شلت عالم الحشرات أيضاً فعن أبي هريرة: قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: " قَرَصَت نملةٌ نبيّا من الأنبياء ، فأمرَ بقَريةِ النَّملِ فَأُحْرِقَت، فأوحى اللهُ [إليهِ]: أَنْ قرَصَتْكَ نَملةٌ أَحرَقْتَ أُمَّة مِن الأُممِ تُسبِّح ؟ " [متفق عليه]

وعن ابن مسعود قال : رأَى ﷺ قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا ، فَقَالَ : " مَنْ حَرَّقَ هذِهِ ؟ " قُلْنَا : نَحْنُ قَالَ : " إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ " [صحيح أَبي داود]

رحمة النبي ﷺ بالنبات

وحمته ﷺ شملت النبات كذلك فعَنِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ " وَفِي روايةٍ : فَلَمَّا كَانَ يَومُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ . وفي رواية : فصَاحَتْ صِيَاحَ الصَّبيِّ، فَنَزَلَ النَّبيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيهِ ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبي الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ ، قال : " بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ " [رواه البخاري] .

وحرَّم ﷺ قطع النبات عبثاً وظلماً " مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِى النَّارِ " [صحيح أبي داود والبيهقي] سُئِلَ أَبُو دَاوُد عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ .

رحمة ﷺ النبي بالجماد

بل وامتد حبه ﷺ فشمل الجماد أيضاً فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ : " هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ". [متفق عليه] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنِّى لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَىَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّى لأَعْرِفُهُ الآنَ " [صحيح مسلم] .

وعبد الله بن عمر : قال : " كان رسولُ الله ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَدْرَكَهُ اللَّيْلُ قَالَ :" يَا أَرْضُ رَبِّى وَرَبُّكِ اللَّهُ " [صحيح أَبي داود] .

وعن طلحة بن عبيد الله أَن رسولَ الله ﷺكان إذا رأى الهِلال، قال : " اللَّهمَّ أَهِلَّهُ علينا باليُمنِ والسلامة ، والإسلام ، رَبِّي ورَبُّكَ الله " [حديث حسن أخرجه الترمذي]

حثّ النبي ﷺ على الرحمة

هكذا كانت حياة النبي رحمة ورأفة بكل خلق الله تعالى من الإنس والجن والحيوان والطير والحجر والشجر ، وبعد هذه اللمحات والمشاهد من حياته التي تفيض رحمةً ندرك لماذا حثَّ النبي ﷺ أتباعه على أن يتخذوا من الرحمة نهجًا في حياتهم، فإن الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى يرحم من عباده الرحماء، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أن النبي ﷺ قال: " إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ " [متفق عليه]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عن النَّبِىِّ ﷺ قال: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ "

[صحيح أبي داود]

***

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية،جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة

٥- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . دار زهور المعرفة والبركة

٦- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . دار زهور المعرفة والبركة

٧- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطه حسين " مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو دار زهور المعرفة والبركة

٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " " " " " " " "

٤- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " " " " " " " "

٥- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي " " " " " " " "

٦- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء " " " " " " " "

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي .

دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) " " "" "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" "" ""

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ

زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . زهور المعرفة والبركة

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ زهور المعرفة والبركة

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " " "" " " "

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) " " " " " " " "

٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة .

(قصص مصورة للنشء والشباب) زهور المعرفة والبركة

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر، وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية .

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون"

- قررت دولة قطر قصة " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي .

التليفون المحمول 01226406489 :

البريد الالكتروني : yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***